كلية التربية للبنات / قسم التاريخ

مادة التاريخ الأُموي

الصف الثاني

أ.د. حمّـــاد فرحان حمادي المحمدي prof. Dr. Hammad F Hammadi

محاضرة بعنوان

(بعض من سيرة عمر بن عبد العزيز وأثر الخلافة في شخصيته) . Some of the biography the age of bin Abdul Aziz the impact of succession in his character

التعريف بعمر بن عبد العزيز:

هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكن بن أبي العاص... ، أبو حفص القرشي الأموي ، أمير المؤمنين . وأمّه أم عاصم ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ولد عام (62هـ) بحلوان في مصر ، فترعرع في بيئة مصرية اشتهرت بالنعيم ، وفي بيئة اشتهرت بالكرم والتقوى . حفظ القرآن الكريم وهو صغير ، وما أن بلغ سن الرشد حتى اشتدّ حرصه على طلب العلم ، ورغبته في تعلّم الأدب ، لذلك طلب من أبيه ، عندما أراد أن يخرجه معه إلى الشام ، أن يرسله إلى المدينة ليتردد على فقهائها ، ويتأدب بآدابهم . حقّق أبوه رغبته ، فلازم مشايخ قريش وتجنّب شبابها ، وما زال ذلك دأبه حتى اشتهر ذكره ، فشبّ متفقهاً في الدين ، راوياً للحديث عن كثير من الصحابة والتابعين ، وعكف على دراسة الأدب ، ونَظَمَ الشعر ، حتى بلغ مرحلة متقدمة ، وكان حجة عند العلماء. فقد قال الامام احمد بن حنبل: (لا أدري قول احّد التابعين حجّة إلّا قول عمر بن عبد العزيز).

ظلَّ عمر في المدينة حتى وفاة والده في عام (85هـ) وآلت الخلافة إلى عبد الملك بن مروان ، فبعث بطلب ابن أخيه إلى دمشق وزوّجه ابنته فاطمة ، وعيّنه والياً على إمارة صغيرة في الشام هي خناصرة من أعمال حلب . ويبدو ان عبد الملم أراد أن يدرّبه على الإدارة وفن الحكم. وبقي عمو والياً على خناصرة حتى وفاة عمه عبد الملم في عام (86هـ) وتولية ابنه الوليد الخلافة الذي استمر في التعاون مع ابن عمّه ، فعيّنه والياً على المدينة في عام (87هـ) .

كان تعيين عمر والياً على المدينة دليلاً على رغبة الوليد في إقامة العدل بين سكانها بعد سيرة هشام بن اسماعيل المخزومي السيئة فيهم ، فأراد الوليد أن يعوّضهم برجل يعتبرونه واحداً منهم.

ولا شك بأن أهل المدينة سعدوا بولاية عمر الذي ظهرت رغبته في تحقيق العدل منذ اللحظة الأولى لتوليته ، فاتخذ له أعوانا ومستشارين من خيرة أهلها ليعاونوه على الحق ، وحرص أن تكون ولايته مثالاً للتعايش المتكافئ بين مختلف الفئات ، في إطار القوانين الإسلامية ، متأثراً إلى حد كبير ، بشخصية الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ونهجه في الحكم . وما لبثت المدينة أن أضحت مجتمعاً منفتحاً على كل الاتجاهات السياسية والدينية .

بقي عمر والياً على المدينة حالب ستة أعوام ، كان فيها موضع الرضا نت أهلها ، ومثالاً للتقى والورع . وبفعل سياسته الانفتاحية ،أضحت المدينة ملجأ للمضطهدين والملاحقين من قبل السلطة ، خاصّة الحجّاج في العراف حيث وجدوا الاستقرار والأمن . لكن ذلك كان سبباً في توتير العلاقة مع الادارة المركزية التي ساءها تصرّف والي المدينة ، وضايقها انفتاحه ، ممّا يعدّ خروجاً على التقاليد المتوارثة في نهج الحكم ، لذلك عزل الخليفة الوليد واليه على المدينة عمر بن عبد العزيز في عام (93هـ) بناءً على طلب الحجّاج الذي شكا من ان العصاة والخارجين على النظام من أهل العراق ، يلجأون إليه ، ويجدون عنده المأوى والحماية .

أثّرت حادثة العزل على نفسية عمر ، فتألّم لذلك ولم يتولّ عملاً رسمياً بقية خلافة الوليد . وعندما تولّى سليمان الخلافة أضحى عمر من أقرب الناس إليه ، ومن كبار مستشاريه وأعوانه ، وظلّ يلازمه طوال خلافته ، وأعجب الخليفة بإبن عمّه ، وكان شديد الثقة به .

لمّا مرض سليمان مرضه الذي توفى فيه ، كتب كتاباً بتوليته الخلافة، بناءً على نصيحة من رجاء بن حيوة ، على أن تعود بعد وفاته إلى يزيد بن عبد الملك ، ودعا أهل بيته وقال لهم: (بايعت لمن عهدت إليه في هذ الكتاب) ولن يعلمهم به فبايعوا ، متوّجاً ذلك أعماله الصالحة . والحقيقة أن عمر لم يمن راغباً في تولّي الخلافة ، فقد كان يعرف أنها حمل ثقيل ، ومسؤولية جسيمة .

ولمّا توفي سليمان في دابق جمع رجاء وجوه بني أمية وكتم موت الخليفة عنهم ، وخرج بعهده المختون وطلب منهم البيعة مرة أخرى لمن سمّاه سليمان في كتابه ، فلما تمّت بيعتهم ، أخبرهم بوفاة سليمان ، وقرأ عليهم الكتاب ، فبايعوا عمر بن عبد العزيز .

لكن القرار جاء صدمة لأبناء عبد الملك ، وفي طليعتهم هشام الذي رفض في البدء الاعتراف بالأمر الواقع ، ولم يبايع إلّا عندما سمع باستخلاف يزيد بن عبد الملك بعد عمر .

أثر الخلافة في شخصية عمر:

كانت الخلافة نقطة تحوّل في حياة عمر بن عبد العزيز من ناحية ، وذات أثر كبير في تاريخ دولة الخلافة الاموية بشكل خاص والتاريخ الإسلامي بشكل عام من ناحية أخرى .

أمّا أثرها في حياة عمر ، فقد فصلت بين مرحلتين ، مرحلة كان عمر فبها ، رغم صلاحه وتقواه ، يتقلّب في النعيم ويحيا حياة مترفة ناعمة ، يلبس لين الثياب ، ويأكل طيّب الطعام ، ويتبختر في مشيته ، حتى عرفت مشيته بالعمرية لتميّزها ، وكان إذا مرَّ من شارع تفوح منه رائحة المسك ، كما كان كثير العناية بتسريح شعره والاعتناء بحسن مظهره .

أمّا المرحلة التي قضاها عمر في الخلافة فقد تميّزت بالزهد الصادق ، والبعد عن زخرف الحياة وزينتها ، وإحساسه العميق بالمسؤولية ، حتى قسا على نفسه في ذلك اعتقاداً منه أنّه ربما قد أسرف في الحياة الناعمة ، قبل أن يلي الخلافة ، فكأنه أراد أن يكفّر عن ذلك بالقسوة على نفسه ، لذلك رفص استعمال مراكب الخلافة بعد بيعته لِما فيها من الأبّهة والفخامة .

أمّا أثر خلافته في تاريخ دولة الخلافة الأموية فإن نهج عمر في الحكم يعدُّ خروجاً على النهج الذي اختطّه معاوية بن أبي سفيان ، وسار علبه مَن جاء من بعده من الخلفاء الأمويين ، وهو إلى النهج الراشدي أقرب، ومغيّراً بعص المفاهيم الأموية التي اعتبرها شاذة ، مقوّماً بذلك ما عرف عن هذا النظام من خروج على التقاليد الإسلامية .

امّا أثر خلافته في التاريخ الإسلامي ، فإن عمر قدَّم الدليل الواضح على أنه اذا صحّت عزيمة الحاكم المسلم واستشعر بالمسؤولية عن الامة أمام الله تعالى ، أصحى بإمكانه أن يقوّم الأوضاع المعوجّة ، وأن يرد المنحرفين إلى سواء السبيل .

كان عمر بن عبد العزيز بعيداً عن كبرياء الملوك ، زاهداً في الملك غير طامع فيه ، ولعلَّ الخلافة سعت إليه دون أن يسعى للوصول إليها. ويبدو أن طروفاً غير عادية أسهمت في ذلك ، أهمها: وفاة الخليفة سليمان وهو يتابع أخبار حملته إلى

القسطنطينية التب كان أحّد قادتها ابنه داود ، بينما ابنه الآخر كان لا يزال صغيراً ، فاستغل رجاء هذا الفراغ وتوصّل إلى إقناعه بتولية عمر بن عبد العزيز خليفة له .

أعاد عمر إلى الناي سيرة الخلفاء الراشدين ، فلما ووُلّي الخلافة خطبهم فقال: (ايها الناس ، إنّه لا كتاب بعد القرآن ، ولا نبي بعد محمد علبه السلام ، وإنّي لست بقاضٍ ولكني منفّذ ، وإنّي لست بمبتدع ولكني متبع ، إن الرجل الهارب من الإمام الظالم ليس بظالم إلّا أن الإمام الظالم هو العاصي ، ألا لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق عزَّ وجل) . وفي رواية أنه قال : (إنّي لست بخير من أحد منكم ولكنني أثقلكم حملاً ، ألا لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، ألا هل أسمعتُ ؟) .